

مخطوط قصيدة التوسل على حروف (ادعوني أستجب لكم) للمزمري (ت1160هـ)

دراسة وتحقيق

أ. العربي عبد الرحمن/ جامعة أدرار

ملخص باللغة الإنجليزية:

Summary

This research in its entirety and investigation of one of the artistic poet religious texts His Author is one of grammar columns, offers in the Tuat southeran, Mohammed bin Obba Almuzzamiry, and hoped this article add another buildig block on the basis of bulding is still in its infancy, and that is build a care scientific heritage Touati Algerian in the centuries that preceded the colonil era. This work aims also to study the text of a scientific study documented the origins science achievement of manuscripts.

مقدمة:

يحسن بنا ونحن نمارس عملا علميا وننشد المنهج العلمي في تحقيق المخطوطات؛ أن نولي وجوهنا صوب رفوف الخزائن التواتية العامرة؛ من أجل تعميق الصلة بالتراث الثمين الموجود على متنها، ومن أجل تمكين الباحثين مما فيه من نقيس المعارف والفنون الأدبية المؤتفة.

ويختلف هذا النص عن كثير من النصوص التي تتطلب في باب التحقيق أمورا؛ كخروج الآيات والأحاديث، والتعريف بالأعلام وغيرها؛ لكونه نصا شعريا فنيا. ولعلي أقول عن التعريف بالأعلام مثلا: إنَّ هذا النصَّ لم يحوِ من الأعلام غير النبيين الكريمين محمدٍ وأيوبَ صلى الله عليهما وسلّم، والأنبياء معارفٌ؛ ولا يُنكرُ قدرُهما، ومن سوء الأدب معهما التعريف بهما.

وأمل من عرض هذا النص الجدير بالعناية والملاحظة؛ أن أُكِّبَ من خدَمَةِ التراث العلميِّ النبيلِ الذي جادَتْ به أقلامُ أعلامِ أفاذا أمثال المزمريِّ.

وبعد هذه المقدمة يترتب هذا البحث إلى فرعين: الدراسة العلمية، والنص محققا.

أما الدراسة فَتَحَّتْهَا عشرةُ بنود: نبذة من حياة المؤلف، وتحقيق نسبة النص إليه، وعدد أبيات القصيدة، ومضمونها، ثم أهم القصائد في بابها، ثم أهم القصائد في شكلها، ثم عروضها، ثم عقدت بندا للكلام في نقد القصيدة نقدا علميا من أجل إلقاء نظرة علمية بين يدي القصيدة، ثم وصفت النسختين وصفا مفيدا. ثم بينت أهم النقاط التي سلكتها أثناء عملية التحقيق؛ والتي تمثل المنهج الذي اتبعته لتحقيق هذا النص.

ولست أكتفي في هذا النص القصير بتحقيق متنه وتوثيق كلماته؛ بل أعزز ذلك بسلوك نهج تحليلي تقدي يزيد جمال المادة الفنية نصوعاً، ويضفي على هذه القصيدة بين أمثالها وقعا ومكانة.

ولتصير النصَّ المحقَّقَ وانحصاره في صفحتين في الأكثر؛ فإنني عرضتُ المخطوطةَ كاملةً من كلا النسختين، وليتسنى للقارئِ تتبعُ الأصلِ مع النصِّ المعروف محققا. والله أسألُ التوفيق.

الدراسة:

أولاً: نبذة من حياة المزمري:

هو أبو عبد الله محمد بن أب بن أحمد بن عثمان بن أبي بكر المزمري نسباً، التواتي مولداً وداراً. ولد سنة (1094هـ). أخذ عن الشيخ محمد الصالح بن المقداد (ت. 12ق. هـ) والشيخ الفقيه عمر بن المصطفى بن عمر الرقادي (ت. 1157هـ). وأخذ عنه ابنه ضيف الله، وقد أثر عنهما مسامرات نحوية عدة، وعبد الرحمن بن باعومر التتلائي (ت. 1189هـ)¹. وهما اللذان نقلتا أكثر مؤلفاته إلى ساحة العلم في توات وإفريقيا وغيرهما.

تحدث عنه تلميذه عبد الرحمن بن عمر التتلائي في غمرة الحديث عن شيوخه فقال: (ومنهم شيخنا الفقيه الأديب سيدي محمد بن أب المزمري كان - رحمه الله - فقيهاً، أدبياً، نحوياً، لغوياً، تصريفياً، عروضياً، فائق من لاقيت في الفنون الثلاثة الأخيرة رائق الخط، شاعراً، مجيداً، مفلحاً، لا يبارى فيه ولا يُجارى)²، وهو باحث كثير المطالعة والنظر لا تكاد تجد كتاباً بتوات إلا وتجد خطه فيه، وكان متقناً في الضبط لا يتساهل فيه³. وكان رجلاً محققاً. قال ذلك عنه - أيضاً - تلميذه عبد الرحمن بن عمر التتلائي التواتي⁴.

¹ جعفري أحمد، محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، دار الكتاب العربي 2004م ص 59.

² عبد الرحمن بن باعومر التتلائي، فهرسة شيوخ عبد الرحمان بن عمر، تحقيق: باعتمان عبد الرحمن ص 132.

³ نفسه. ص 133.

⁴ ينظر: عبد الرحمن بن باعومر التتلائي، إعراب القرآن، (مخطوط) ورقة 1.

ترك تراثا كبيرا ؛ عبارة عن شروح وقصائد وأراجيز علمية منها: قصيدة في فك البحور، وأرجوزة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ضمنها أشطاراً من الألفية، وعشرة أبيات في المقلوب. وقصيدة تضمنت أبياتاً عشرة تُقرأ من الجهتين من اليمين إلى اليسار والعكس، والقصيدة الشعرية التي أنشأ عليها مجره الجديد والذي سماه (المضطرب) من (89) بيتاً. وإعراب التسييح الذي يقال بعد صلاة التراويح نظماً، وتخميس قصيدة "ما للمساكين" لأم هانئ. وغيرها . . من المؤلفات الصغيرة والمطولة. قال التلاني: (وقد نظم قصائد ومقطعات لو جمعت لكانت ديواناً كبيراً)¹. وبهنا ههنا تراثه الشعري.

وفي مصادر ترجمته أنه في 10 جمادى الآخرة سنة (1160 هـ)، انتقلت روحه إلى بارئها، ودفن بمدينة تميمون². في إقليم توات، رحمه الله رحمة واسعة.

ثانياً: تحقيق نسبة النص وعنوانه:

تخبرنا المراجع التي ترجمت للمزمري أن من أشعاره قصيدة في التوسل على حروف هذه الآية، (ادعوني أستجب لكم)³. مما يؤكد نسبتها إليه⁴. وأيضاً فإن النص على المؤلف في نسخ هذا النص واضح.

وأما عنوانها فيبدو أن المزمري لم يضع لها عنواناً محدداً تميّز به كالمنفرجة أو البردة مثلاً، ولم تعرف باسم ناظمها كما عرفت الشمقمقية أو الشقراطسية مثلاً بأسماء أصحابها، بل تركها على هذا الوصف ليكون علماً عليها وهو بهذه الصورة: "قصيدة على حروف قوله

¹ السابق ص 132

² ينظر: المصدر نفسه ص 138، و نسيم الفحات، ورقة 163. وجوهرة المعاني، ورقة 17 ..

³ سورة غافر / الآية 60، والآية كاملة هي: ﴿وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

⁴ ينظر نسيم الفحات، ورقة 160. وجوهرة المعاني، ورقة 15

تعالى . . . " ومن عادة عامة المشتغلين بهذا النوع من الشعر أن يطلقوا عليه اسم "التوسيلة" لأنه عبارة عن توسل إلى الله بالدعاء أو العمل الصالح . . وهو هنا توسل بهذه الآية نفسها من أجل قبول الدعاء .

ثالثا: عدد أبيات القصيدة:

لا شك أنها أربعة عشر بيتا يؤكد ذلك عدد حروف الآية الكريمة، وهذا يؤكد حقيقة علمية؛ هي أن هناك موضوعات غير منتهية الأفكار؛ يمكن النظم فيها والتقصيد عليها؛ كموضوع الابتهاال، والذكر، والثناء على الله، والاعتراف بالذنوب، والبكاء جراءها، ونحو ذلك كثير جدا . وفي المقابل هناك موضوعات يكاد يكون عدد الأبيات فيها معروفا أو منتهيا في الأقل، منها ما ينظمه الناظم من كتب غيره، أو النظم في العلوم وقواعدها، أو نحو ذلك .

رابعا : مضمون القصيدة:

اختر المزمري قول الله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) ليقتبس منه مضمون قصيدته ويضمته مجملها، وهي آية شهيرة في هذا الباب، ومثلها قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)¹ .

وما من شك في أن مضمون هذه القصيدة جلي، والكتابة فيه كثيرة ومتوافرة؛ بسبب ارتباطه بالنزوع إلى التبطل والتضرع إلى الله تعالى، والحاجة إلى دعائه، والاستعانة به، واستغاثته لتفريج الكرب والهموم وقضاء الحوائج . وكل قصيدة في الضراعة إلى الله تعالى

¹ سورة البقرة / الآية 186 .

والتوسل برحمته وبغيرها من الوسائل؛ فهي من أخوات هذه القصيدة. بيد أن الجديد فيها هو اتساق مضمونها مع بنائها الشكلي، وكونها تستند إلى آية قرآنية مضمونها هو الذي أوحى للشاعر بمضمون قصيدته.

خامسا: أهم القصائد في بابها:

لا يمكننا حصر القصائد التي تشبه قصيدتنا هذه في مضمونها؛ ذلك أنه موضوع مرتبط بأمر لا تنقضي الحاجة إليه في زمان ولا مكان.

ويمكن تسجيل بعض القصائد المشابهة في الخزانة التواتية أكثرها لا يزال مخطوطا فنجد:

- قصيدة في التوسل بأسماء الله الحسنی وسور القرآن¹. مؤلفها مجهول.
- للكتبي محمد بن المختار بن أحمد بن أبي بكر (ت. 1226هـ) قصائد كثيرة (أكثر من خمس قصائد) في الاستسقاء والتوسل، والاستغاثة بالله تعالى، وطلب العون منه، ودعائه سبحانه².
- ولا تكاد تخلو منظومة أو قصيدة في ختامها - مهما كان موضوعها - من تضرع لله بالمغفرة والرغبات إلى الله، والتجاوز عن السيئات، وحمده على التمام؛ يلمس ذلك كل من تابع منظومات التواتيين وغيرهم في كل العلوم والفنون.

¹ ينظر: أحمد باب التنبكي، فهرس مخطوطات أحمد بابا التيمبكي للتوثيق والبحوث التاريخية 1/ 400.

² ينظر: المصدر نفسه 1/ 285.

سادسا: أهم القصائد في شكلها:

إن التزام نمط ما يفرضه الشاعر على نفسه لهُو نوعٌ من إبداء البراعة والبيان وإظهار التمكن من ناصية الشعر واللغة. ويمكن التمييز بين أنواع عديدة من هذا الالتزام كما يأتي:

1. التزام كلمة واحدة ذات علاقة بالمضمون في مطلع كل بيت من أبيات القصيدة أو في مؤخرته، مثلها قصيدة تبدأ باسم النبي - صلى الله عليه وسلم -
مثل:

- قصيدة البوصيري (ت. 696 هـ) المسماة بالمحمدية؛ لأن كل شطر من كل بيت يبدأ بكلمة (محمد) اسم النبي صلى الله عليه وسلم. 17 بيتا [من بحر البسيط]، ومطلعها¹:

محمد أشرف الأعراب والعجم محمد خير من يمشي على قدم

ونهايتها:

محمد قائم لله ذو همم محمد خاتم للرسل كلهم

- وتشبهها قصيدة "ابن مرسية" التي ينتهي كل بيت منها بذات الكلمة، [من بحر الكامل] ومطلعها²:

للعاشقين لواهج لم يشفها إلا الصلاة على النبي محمد

¹ محمد شرف الدين الصنهاجي البوصيري، ديوان البوصيري، قصيدة رقم: 13789 و مجموع القصائد والأدعية، المطبعة التعاليمية والمكتبة الأدبية 1960م ص 13-14.
² مجموع القصائد ص 14-15.

وخاتمتها:

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا رَقَمَتْ يَدُ
وَشِي الصَّحَافِ مِنْ ثَنَاءِ مُحَمَّدٍ
وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَعَ أَزْوَاجِهِ
وَمَنْ انْطَوَى يَوْمًا لَالِ مُحَمَّدٍ

2. التزام حرف واحد تبدأ به أبيات القصيدة كلها ويكون مثل حرف رويها
مثالها: كل قصيدة من القصائد الوترية التي نظمها ابن رشيد البغدادي على
حدة. كقوله:

أقيمَ مقاما لم يقيم فيه مرسل
وأمست له حجب الجلال توطأ.

3. التزام ترتيب أبيات أو قصائد تامة على حروف المعجم. ومثالها القصائد
الوترية.

4. التزام آية أو حكمة أو نحوها بحيث تبدأ أبيات القصيدة بحروفها على الترتيب
ومثالها قصيدتنا هذه.

ومما وجدنا من القصائد مما يشبهها في هذا النمط:

- منظومة على حروف قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) لعمر بن
سعيد الفوتوي (ت بعد 1261هـ)¹. مخطوطة في فهرس مخطوطات أحمد بابا التيمبكتي،
تحت رقم 896. والفوتوي هذا أحد شيوخ الطريقة التيجانية بالسودان.

- منظومة على حروف "ادعوني أستجب لكم" أيضا للحسن اليوسي

¹ ينظر: فهرس مخطوطات أحمد بابا التيمبكتي للتوثيق والبحوث التاريخية 1/ 277.

الفتية المالكي (ت. 1102هـ) من بحر الطويل، مطلعها¹:

إِلَهِيَ مَنْ أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ إِذَا لَمْ تَقِفْ بِبَابِكَ الْوَاسِعِ الْبِرِّ

وختامها:

مُرَادِي لَا يَجْنِي عَلَيْكَ فَخْذُ بِهِ بِجُرْمَةٍ مَنْ حَازَ السِّيَادَةَ فِي الْحَشْرِ.

سابعاً: عروض القصيدة:

هي من بحر الكامل التام الذي وزنه:

مَتَاعِلُنْ مَتَاعِلُنْ مَتَاعِلُنْ مَتَاعِلُنْ مَتَاعِلُنْ مَتَاعِلُنْ

عروضه صحيحة أو مضمرة (متاعلن) وضربه مقطوع (متاعلن)، والإضمار تسكين الثاني المتحرك، والقطع حذف ساكن الوجد وتسكين ما قبله².

دَعَوَايَ مَهْمَا بَرَحَتْ بِي كُرْبَةً اللَّهُ لِي حَيْثُ لُكْرُو بُلَّ اللَّهُ
دَعَوَايَ مَهْمَا بَرَّرَحَتْ بِي كُرْبَتُنُّ اللَّهُ لِي حَيْثُ لُكْرُو بُلَّ اللَّهُ

0 | | 0 | 0 | 0 | 0 | | 0 | 0 | 0 | 0 | | 0 | 0 | 0 |

0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 |

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

وهي من نوع القصيد أي القريض، أي: إنها ليست منظومة "رجزاً" ذات قافية

¹ ينظر: مجموع القصائد. ص 55.

² الزمخشري، القسطاس في العروض، ص 4

داخلية، بل هي قصيدة ذاتُ روي واحد هو الهاء، والهاء لا تكون رويًا - في عرف العروضيين - إلا بشرط أن يسبقها حرف ساكن أو حرف مد¹. وإلا كانت حرف وصل.

وما دام الحرف الأول من كل بيت معروفًا مسبقًا؛ فإن الحرف الأخير لكل بيت يحسن به أن يكون معروفًا أيضًا. وهو ما حقق تناغمًا عجيبيًا في القصيدة.

وقافيتها مطلقة محتومة بواو "خروج" فأكتف الهاء حرفًا مدّهما أقدر على إمداد القارئ للقصيدة بنوع من التأوه والندبة وربط العلاقة بين معالجات النفس البشرية؛ ورحمات الربّ المعطي الواسعة ونفحاته الماتعة.

وهي هاء ضمير الغائب التي عبر بها الشاعر - في الغالب - عن نفسه فهو المتضرع، وغيب نفسه مبالغة في التضرع والذلة لله الحاضر الذي لا يغيب. جاءت هذه الهاء في غالب الأبيات هاءً للغائب إلا في البيت الثاني؛ فإنها هاء لفظ الجلالة وفي الخامس هاء استغاثة وندبة. وهو ذات المقام الذي عقدت القصيدة لأجله.

وأما عن الجوازات والضرائر الشعرية، فإنه تتكاثر الجوازات والضرائر في النظم أكثر منها في الشعر، ولا شك أن الشعر الجيد هو ما قلت فيه أو انعدمت أو اقتصر فيه على الضرائر المستحسنة. وقصيدتنا هذه لم تظهر فيها الضرائر إلا لماما وحصل ذلك في موضع واحد هو قوله: فأزاح عن ذي غمة غماه: لفظ "غماه" يقصد به غمته بزنة "فعله" مؤنث اضطره الوزن إلى وزن "فعلى". ثم هو بعد ذلك تعبير جميل لأنه يحكي قول الله تعالى: ((وَيُوتِ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ))².

¹ ينظر: أبو إسماعيل بن أبي بكر المقرئ، كتاب العروض والقوافي، تحقيق: يحيى بن علي المباركي، دار النشر للجامعات 2009م. ص 91-92.

² سورة هود / الآية 3.

وفي الجانب العروضي النظري، فإن المزمري خبير بمواضع الضرورة، فقد قال وهو يشرح جواز تنوين المنادى النكرة المقصودة:

ولا تَسْتَبِحُ نَثْوِينُهُ يَا أَخَا الْحِجَا فَتَضْحَى إِذَا مَنَّ إِلَى الْحَقِّ يُنْسَبُ
ومهما أتى في الشَّعْرِ فَهُوَ ضَرُورَةٌ وَكَمْ قَدْ أَنَا حِظْرَ فِي الشَّعْرِ مَأْرَبٌ¹

ثامنا: بين يدي القصيدة:

أوفى المزمري بما قطعه على نفسه من التزام حروف الآية في مبادئ أبيات قصيدته إيفاء بارعا وذكيا. ذلك أنه لم يكنف بالالتزام الحرف فحسب؛ بل التزم - بقصد أو بغير قصد - حركة الحرف أيضا، إلا فيما لا يمكن الوفاء به وهو حركة الحرف الساكن في الآية؛ إذ لا يتأتى البدء بحرف ساكن قط. هذا باستثناء موضعين هما: البيت الأول الذي همزته في الآية مضمومة وهي في البيت مفتوحة، والبيت الثالث الذي عينه في الآية مضمومة وهي في البيت مفتوحة كذلك.

ثم إن همزة القطع الواردة في قوله تعالى: (أَسْتَجِبْ) قد قلبها في البيت همزة وصل. وله في ذلك مندوحة ومبرر يصرف عنه الملامة، وهو أن همزة الوصل إذا ابتدئ بها كانت في النطق همزة قطع. ولئن كان لم يخطر ببال المزمري أن يناسب بين حركة الحروف في الآية وحركتها هي نفسها في الأبيات ثم اتفق له ذلك دون قصد؛ إذا لهُ من محاسن الموافقات!

ولا يغب عن بالنا ذلك الاتساق والتساوق العجيب الذي بين مضمون النص وشكله

¹ محمد بن أب المزمري، منظومة في إعراب التسييح الذي يقال بعد صلاة التراويح، (مخطوط) خزانة المطارفة. ورقة 2.

وتفاعل الشاعر معه، فقد كان الشاعر واضحاً في امتثال آداب الدعاء المطلوب في نص الآية بقوله: (ادعوني) من التذلل، والإيقان بالإجابة، والبدء بالثناء على الله، والختم بالصلاة على نبيه، وذكر المضطر، وتحري الاسم الأعظم (الله)، والاعتراف بالذنب ونحو ذلك..... وذلك من أجل انتظار الإجابة الموعودة في قوله: (أستجب لكم).

ويستفاد من أنعام النظر في النسختين؛ جمعاً بينهما، ثم أفراداً لكل منهما؛ أمر مهم مرتبط بتبادل الكلمات بينهما، ذلك أننا بتتبع ما ورد في النسختين من ألفاظ تميز بين ضربين من الروايات:

أ. ضرب هو خطأ بلا شك، ويكون خطؤه من: سهو أو زلة قلم أو غلط.

ب. وضرب هو صواب، وتتمايز الروايات فيه إلى نوعين:

- لفظين يقبلهما النحو والوزن والمعنى على حد سواء.
- لفظين يقبلهما النحو والوزن والمعنى؛ لكن مع ترجيح أحدهما بمرجح السياق أو بلاغة الكلام.

ووجدت الأول ماثلاً في 6 مواضع هي:

1. بي كربة ===== بي كربتي
2. مهجتي ===== لهجتي
3. في الشدائد ===== في الجواث
4. ووقيت ===== وكهيت
5. واغوثاه وارباه ===== واغوثاه

6. وسع الوري ===== عم الوري

ووجدنا الثاني ماثلا في موضع واحد هو:

رحماه === قرياه.

وبعد إمعان النظر في الضرب الثاني، نجد أن الخطأ وارد بسبب مخالفته للنحو أو الوزن، وما كان الخطأ فيه بسبب مخالفته للنحو موضعان هما:

1. برّحتُ بكرّيتي : إذ لا يكون للفعل "برّح" حينها مفعول. فيكون في الكلام والمعنى خلل واضح.

2. دعوت إلحاحا بذلك مهجتي/ لهجتي: إذ الفعل "دعا" لا يتعدى إلى المهجة ولا إلى اللهجة في المعنى.

وما كان الخطأ فيه بسبب كسره للوزن 6 مواضع هي:

1. " أرجوه من " : والصواب بزيادة "يا" لتتام الوتد الجموع لـ"متفاعلن"

2. " الهدى " في الشطر الثاني: والصواب أن موضعها الشطر الأول.

3. " ولولا " بدل لولا: يزيد حركة لا يقبلها الوزن بعلل ولا تمام.

4. " واسعا الوري "، " عم الأنام " : كلاهما يكسر الوزن ؛ الأول يزيد ساكنا بين ميم متفاعلن الصحيحة وتائها، ولا يصح ذلك في زحاف ولا علة قط. والآخر.

5. " مذ " في الشطر الثاني.

6. " نويت " بدل " ناديت " .

تاسعا: وصف النسخ:

النسخة الأولى: نرّمز إليها بالرمز (ط) ومصدرها خزانة السيد "حيدة" التمنيطي، وحالتها متوسطة عموما كتبت بخط دقيق، وهي غير مشكولة، وبها بعض التآكل من أطرافها، وتقع في صفحتين، ختمت بعد القصيدة بفائدتين كتبهما الناسخ. إحداهما: بيتا شعر نسبهما إلى محمد الوراق ونص الفائدة:

قال محمد الوراق في شعره¹:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً نِعْمَةً عَلَيَّ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ.

وهناك تصحيف في اسم هذا الرجل، فاسمُه في المصادر "محمودُ الوراق" وتجنرنا المصادر بترجمته فتقول هو: محمود بن الحسن الوراق الشاعر أكثر القول في الزهد والأدب روى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا وأبو العباس بن مسروق وغيرهما، مات في خلافة المعتصم

¹ والأبيات بهذه الصورة فيها خلل في الوزن، وصوابها ما جاء في: البيهقي، شعب الإيمان 6/ 238: أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحَرْفِيُّ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا، قَالَ: أَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً نِعْمَةً ... عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ وَفُوقُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ ... وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ
إِذَا مَسَّ بِالسَّرَّاءِ أَعْمَ سُرُورُهَا وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَّاءِ أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ مِنَّةٌ تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبُرُ وَالْبَحْرُ

عام (220هـ)، التقى جعفر الصادق وروى عنه المبرد¹. وله ديوان مطبوع.

كما يبدو -في المخطوطة- في نص شعر الوراق تصحيف أيضا، فهو كما أوردنا لا كما كتبه الناسخ، وهو في كتابة ذلك الناسخ فيه كسر في الوزن.

والفائدة الأخرى: طبية لشفاء الأورام، قال ناقلها "الناسخ" إنها مجربة

ثم قال في نهايتها إنه نقلها من كتاب تفسير (. . . .)

وكتب الناسخ اسمه في نهاية الفائدتين المنقولتين، وهو: "محمد بن أبي بكر بن المحجوب بن أبي مدين". وهو رجل له اطلاع أو اهتمام بعلم النحو يظهر ذلك فيما يخطه بخط يده، ومن ذلك ما في ورقة بخط يده كُتِبَ فيها مسألتين نحويتين، قال إنه نقل أولاهما -كما قال-: (من خط قديم لم أعرف صاحبه ولا عُرِفَ لأحد من الشراح ولا إلى نسخة)².

ويبدو أنه ناسخ لا يوصف بالمهارة، لأن له أخطاءً كتابية من مثل كتابته لفظ "المنأ" جمع "أمنية" بالألف الممدودة. وكتابته: "نويت" بدل ناديت، وهو خطأ ياباه الوزن.

ولعل أحدا كان يُملئه، يدل على ذلك: كتابته: "وسع الوري": "واسعا الوري"، وأخطاء المد زيادة ونقصا من أظهر الأخطاء التي تنجم عن خطأ المملي أو ضعف الكاتب.

وكتب "فظللت" بالضاد، وقد يكون زلة قلم حسب.

¹ ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد 13/ 87 والذهبي، سير أعلام النبلاء، 11/ 461.

² ورقة مخطوطة "مسألة في المفعول معه". لمؤلف مجهول، خزانة السيد حيدة تمنطيط. وينظر: عبد الله ابن عبد الكريم البكري. الدرر الحمدة في تحقيق معاني المشبهة، مخطوط في خزانة السيد حيدة - تمنطيط. ورقة 2.

وكتب قول المزمري:

نلت المنى وكهيت ما أخشاه مذ ناديت وارباه واغوثاه

كتب "مذ" وهي من صدر البيت في بداية العجز¹. ولها أمثال؛ مما يدل على ضعف التمكن العروضي.

ويبدو أن الناسخ قصد بجمعه بين هذه القصيدة وتلك الفائدتين في ورقة واحدة أن بينها وبينهما علاقة في المعنى والمضمون، فالتوسل الذي في متن القصيدة من لوازمه الاعتراف بفضل الله ونعمه؛ وهو الذي نصت عليه أبيات الوراق. وإن من لوازم التوسل لجلب البرء الأخذ بأسباب الشفاء؛ وهو عين مضمون الفائدة الثرية التي قيدها الناسخ.

هذا وقد يكون تقييد فائدة ما في نهاية كتاب ما ليس له من داعٍ غير العوز من الورق وقلة وسائل الكتابة.

وتاريخ نسخها غير معلوم. ولسنا نعرف تاريخ وفاة الناسخ فنحدد الفترة التي يرجح أن تكون قد كتبت فيها.

النسخة الثانية: نرمز لها بالرمز (و) مصدرها خزانة السيد "وليد بن الوليد" الواقعة في "باعد الله" قرب مدينة أدرار وحالتها جيدة وخطها جيد مقروء ومشكول شكلا جيدا ينبئ عن أن صاحبه عالم باللغة والنحو. يمكن الاستدلال على ذ

وهي واقعة في صفحة واحدة، في مجموع فيه قصائد شتى للمزمري أكثرها في مواضع عروضية، ناسخها كلها واحد هو "محمد عبد العلي بن محمد عبد الحكيم".

¹ ينظر النص الخقق .

نسخها لشيخه وسيده "محمد عبد الحكيم بن محمد بن عبد الرحمن بن الشريف". كذا في نهاية المجموع. وتاريخ نسخها غير معلوم.

مبدؤها: الحمد لله، وله أيضا هذا الدعاء على حروف (ادعوني أستجب لكم):
الله ربي . . .

ولم أخترا إحداهما على الأخرى لأجعلها أما بل حاولت إثبات النص من كليهما معا ليكون أكمل وأجلى.

عاشرا: منهج التحقيق:

- حاولت ربط الفوائد المكتوبة عقب القصيدة في إحدى النسختين بمضمونها وتعليل اختيار الناسخ لها .
- رددتُ النص إلى الكتابة وفق القواعد الإملائية المعروفة حديثاً .
- وثقتُ نسبة القصيدة إلى مؤلفها، وحاولت عنوتها .
- وضحتُ أهم ما وقع فيه الناسخ من تحريف، أو سقط، أو زيادة مُحالاً في الهامش . ورجحت في حالة قبول النحو والعروض كلمتين .
- قدمتُ شرحاً نحويًا أو معجمياً في حالة توقف الفهم عليه .
- وثقتُ أهم الآراء، والأفكار أو المعاني الواردة في النص .
- علقتُ على بعض المسائل المهمة في النص .
- ووضعت معجماً للمواد الغريبة، وفهرساً للمسائل النحوية ؛ لإظهار قيمة النص اللغوية والنحوية .

النسخة (و)

النص المحقق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،

صلى الله على سيدنا محمد وآله. وللشيخ الإمام العالم العلامة إمام العصر وفريد
الدهر النحوي اللغوي سيدي محمد بن أب بن أحمد المزمري هذا الدعاء على قوله:
﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، رحمه الله ونفعنا به آمين:

- 1- اللَّهُ رَبِّي لَا إِلَهَ سِوَاهُ مَا خَابَ مُضْطَرٌّ دَعَا مَوْلَاهُ
2- دَعَوَايَ مَهْمًا² بَرَّحْتُ بِي³ كَرِبَةً⁴ اللَّهُ لِي حَيْثُ الْكُرُوبُ اللَّهُ
3- عَوَدْتُ⁵ إِلِحًا بِذَلِكَ لَهْجَتِي⁶ فَظَلَلْتُ⁷ - مَا¹ عَمَّرْتُ - لَا أَنْسَاهُ

¹ يصح أن يعود هذا الضمير على المؤلف (المزمري)، وتصح عودته على التأليف (الدعاء).

² في (و) "مهمى" بالمقصورة.

³ في (ط): "بـكـرـبـتـي"، وهو خطأ الناسخ فالياء تثبت كتابة. والصواب ما أثبت في المتن كما في (و).
ويجوز أن يكون قصد: بي كربتي. فهو صواب أيضا يقبله المعنى والوزن.

⁴ في (ط): كربتي.. ويصح وزنا ونحوا ومعنى "بي كربتي"

⁵ في (ط): "دعوت" ولعله زلة قلم، وما أثبت هو الصواب. لعلتين:

- إحداهما: أن "مهجتي" أو "لهجتي" مفعول به ولا ينصبه (دعا)..

- والأخرى: أن الحرف الذي هذا موضعه حسب تراتب القصيدة مع الآية هو العين لا الدال.

⁶ في (ط): "مهجتي"، ولعله صواب أيضا. والمهجة هي دم القلب إذا أريقَ بادت النفس. ينظر اللسان (مهج)
4286/6. وما أثبت فمن (و).

⁷ في (ط): "فضلت" بالضاء وهو خطأ ظاهر.

- 4- وَاللَّهِ أَمْرِي فِي الْحَوَادِثِ كُلِّهَا¹ فَوَضْتُ جِزْمًا أَنِّي أَكْفَاهُ
- 5- نَلْتُ الْمُنَى وَكُهَيْتُ³ مَا أَحْشَاهُ مُذُ⁴ نَادَيْتُ⁶ وَأَرَبَاهُ وَأَغْوَيْتُهُ⁷
- 6- يَا عُمْدَتِي يَا عُدَّتِي فِي شِدَّتِي يَا مُحْسِنَا وَسِعَ الْوَرَى⁸ رَحْمَاهُ
- 7- الطُّفُّ بَعِيدٌ قَدْ دَعَاكَ تَضَرُّعًا وَأَرْحَمُهُ فِي هَدْيِي وَفِي أُخْرَاهُ
- 8- سَاءَتْ تَتَائِجُ فِعْلِهِ لَوْلَا⁹ الرَّجَا وَرِدَاءٌ سَتَرِ مِنْكَ قَدْ غَشَاهُ
- 9- تَبُّ وَاعْفُ وَاخْتِمِ بِالسَّعَادَةِ وَالْهُدَى¹⁰ فَضْلًا، وَوَفَّقْنَا لِمَا تَرْضَاهُ
- 10- جُدُّ وَاسْتَجِبْ فَلَقَدْ أَجَبْتَ تَفَضُّلًا أَيُّوبُ¹¹ حِينَ دَعَاكَ مِنْ بُلُوَاهُ
- 11- بَلَّغْ مُرَادِي عَاجِلًا مِنْ كُلِّ مَا أَرْجُوهُ يَا مَنْ لَيْسَ لِي إِلَاهُ
- 12- لَكَ ضَارِعًا وَجَهَّتْ وَجْهِي سَائِلًا مِنْكَ الرَّضَى يَا رَبِّ فَارْزُقْنَا

¹ "ما" حينية بمعنى طول عمري.

² في (ط) "في الشدائد". ويحتملها السياق والمعنى والنحو والعروض.

³ في (ط) "المنى" بالألف الممدودة.

⁴ في (ط) "ووفيت" ولعلها "ووقيت" بالقاف. وتصح معنى.

⁵ في (ط): "مذ" في الشطر الثاني وهو خطأ في العروض.

⁶ في (ط): "نويت" وهو خطأ، ويأباه الوزن.

⁷ في (ط): "واغوائه وارباه". ولا تضير الوزن ولا البلاغة.

⁸ في (ط): "واسعا الورى" ولعل الناسخ أخطأ فكتب بدل "وسع": "واسعا، وفي (و): كتب "عم الأنام"، ولا يستقيم معها الوزن. لكنه صوبها بـ (عم الورى)

⁹ في (ط): "ولولا" ويأباه الوزن والنحو أيضا.

¹⁰ في (ط): "الهدى" في الشطر الثاني وهو خطأ في العروض.

¹¹ يقصد (أيوب) النبي وبلواه مشتهرة وإجابة الله له في القرآن. قال الله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ابْنِي مَسْنَى الصَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ ﴾ سورة الأنبياء / الآيات 83 - 84.

¹² في (و): "أرجوه من"، وما أثبت فمن (ط)، وهو الصواب الذي يصح به الوزن.

13- كُنْ ذَا الْجَلَالِ مُصَلِّياً أَبَداً عَلَيَّ
خَيْرِ الْوَرَى وَعَلَى ذَوِي قُرْبَاهُ²

قُرْبَاهُ³

14- مَا لَاحَ بَدْرُ الْإِسْرِ فِي لَيْلِ الْأَسَى
فَأَزَاحَ عَنِّي غُمَّةً غَمَّاهُ

انتهى وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى⁴.

¹ " ذا " في هذا الموضع منادى محذوف حرف النداء لا خيرا لـ كان.

² في (و) وعلى ذوٍ دون ياء وهو سهو من الناسخ لا يستقيم معه الوزن ولا الإملاء. وما أثبت فمن (ط)، وهو الصواب.

³ في (ط) : " رحماه " ؛ وقرباه أجود في المعنى وفي اعتبار أن " رحماه " كلمة سبقت في قافية بيت قبله، وإن كانت كانت إعادة لا تؤدي عيب الإيطاء المعروف ؛ لأنه يشترط أن يفصل بينهما سبعة أبيات ؛ وهو قد جاوز السبعة الأبيات. ولأن معنيهما في البيتين مختلفان، فهو في الأول من الرحمة وفي الآخر من الرجم أي الأقارب.

⁴ في (و): انتهى بحمد الله وحسن عونه.

خاتمة:

إن العمل في نص مخطوط من وزن أعمال المزمري الشعرية يدعو إلى التأمل في المتن تأملاً جيداً؛ ذلك أنها نصوص تنم عن تمكن لغوي لافت، ويمكن - بعد ذلك التأمل وذلك العمل - تسجيل النتائج العلمية التالية:

- يشي النص بمقدرة صاحبه اللغوية وتمكنه المعرفي.
- ويشي بحس بلاغي رائق، وذوق جيد؛ وهو أمر لا يستغرب من أديب كالمزمري.
- ويظهر من ثنايا النص المكنة العروضية بالنظر إلى توظيف المعلومات النظرية، وبالنظر إلى الاختيارات التطبيقية فيما تؤدي مصطلحات ومفاهيم علم العروض. وقد تؤكد أن المزمري عروضي بامتياز.
- ويتسق النص مع زمانه وموضوعه، ويتناسق ذلك مع شكله.
- ويضع هذا النص صاحبه في زمرة شعراء الالتزام الصوفي.
- وينبئ عن تمكن وملكة في إنتاج الأفكار وطرحها بشكل ممتع.
- وتمايز عناصر النص متساوقة مع لوازم قبول الدعاء، فمقدمته هي مستفتح الدعاء من الثناء على الجليل بما هو أهله، ومثته هو جوهر المسألة والطلبية والاعتراف بالتقصير؛ وخاتمته هي مستوجب ختم الدعاء من الصلاة على النبي وآله.